الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاخبار
التاريخ: ١٩٩٩/٦/١٧

وهكذا كانت مصر.. قبل السادات

بقلم السفير:
عادل الصفطى

يقال والعهدة على الراوى أن الخلاف الذى وقع بين السيدتين أم كلثوم وجيهان السادات كان سببه أن الأولى نادت على الرئيس السادات مرة بقولها «أبو الأناور» فكشرت الثانية عن انيابها وأفهمتها ان اسمه هو «سيادة الرئيس».

وفى محاولة لاصلاح ما حدث قالت الأولى ما معناه انها تعرفه منذ زمن بعيد، ربما قبل ان تولد الثانية، وأنها تناديه كذلك من وقتها، ولكن الثانية لم يعجبها أيضا هذا الكلام الذى كان يمكن فهمه على انه مجاملة طيبة لصبية صغيرة ومليحة، وأصرت على ضرورة ان ينادى بما يليق به من احترام.

وأيا ما كان نصيب هذه القصة من الصحة فأنور السادات أو أبو الأناور أو أبو الأنوار أو أى شىء تناديه به كان حاكما فذا، وأننا ظلمناه كثيرا، فمات مقتولا وكان يستحق أفضل من ذلك، وشنعنا عليه وعلى حرمه ولم يكن يستحق ذلك، وقال بعضنا فيه ألعن مما قاله مالك فى الخمر.

ومع أننى أعتقد جازما انه عندما يكتب التاريخ الحقيقى لمصر خلال الخمسين سنة الأخيرة من القرن العشرين فان ابو الأناور سيحتل فيه مكانا عاليا، بل شديد العلو، ويكفيه فخرا انه تولى الحكم وجزء عزيز من ارض مصر محتل من حثالة البشر، وترك مصر وباقى هذا الجزء يوشك أن يتحرر بعد أن تحرر معظمه.

كما انه تولى الحكم ومصر فى ازمات متتالية فى كل شىء، مواد غذائية، مواد صناعية، سلع وسيطة، مواد بناء، بل سلع بسيطة كالكبريت مثلا.

ناهيك عن حالة المرافق التى كانت قد وصلت الى مابعد الحضيض من كهرباء ومياه ومجارى وتليفونات ومواصلات وباختصار أزمات فى كل شىء.

وربما يذكر من عاش تلك الفترة رسما لصلاح جاهين أدى به للمكوث فى منزله عدة شهور عندما رسم غطاء بالوعة مجارى وكتب عليه «بنى فى عهد السلطان قلاوون- التعلية الأولى

فى عهد محمد على- التعلية الثانية..» وتركها لفهم الناس اذ ان الحل الذى اعتمدته الدولة وقتها لمشكلة طفح المجارى كان تعلية اغطية البالوعات حتى لا تطفح.

وهناك مقولة شهيرة لأحد وزراء الاقتصاد السابقين على عهد السادات بأنه يضطر الى النقل من بند الى بند فى ميزانية الدولة لكى «يلبس هذا طاقية ذاك».

وأنا هنا لا ألوم الرجل فلم يكن ذلك المسكين يستطيع عمل أى شىء، فماذا كان يفعل أمام تأشيرة همايونية جاءت اليه تقضى بنقل الاعتماد لاصلاح مجارى القاهرة الى البند الذى كان يصرف منه على رشوة قبائل اليمن التى «تفسد» لكى تعود «فتجمهر» وهذه هى الألفاظ بنصها التى كانت تستعملها تلك القبائل والافساد كان يعنى الوقوف فى صف الملكيين بينما كانت الجمهرة تعنى

الوقوف فى صف الجمهوريين، وكان ذلك يقتضى رشاوى تدفع بالذهب، فلم يكن زعماء هذه القبائل مغفلين بحيث يقبلون عملات ورقية يمكن الغاؤها وطبع بدلها.

وهكذا كانت تدار مصر قبل السادات فلم يكن يوجد فرق كبير بين اليمن التى ذهبنا لننقذها وبين ما يحدث عندنا، ففى اليمن كان كل شىء يتم بارادة الامام، وفى مصر كان كل شىء يتم بجتة تاشيرة تنقل بها الاعتمادات من بند الى بند بعد أن يكون مجلس الأمة قد ناقشها واقرها وخصصها وأصدرها بقانون.

بل ان الموافقات كثيرا ما كانت تتم بمجرد التاشير بعلامة «صح» على المذكرات المعروضة، وبلا أى قانون او دستور تحولت مصر الى سجن كبير لا يمكن لاى شخص الخروج منه لاى سبب الا بتأشيرة خروج يوافق عليها رئيس الوزراء شخصيا وفى ذلك تحكى قصص وروايات.

اقول ان ابو الانوار تولى حكم مصر وهذا حالها فوضع الاساس لحل كل ذلك.. صحيح ان العمر لم يمتد به ليرى آثار عمله، ولكن التاريخ سيتولى تصحيح الامر، وسيذكر الفضل بالتاكيد لصاحب الفضل، والتاريخ لا يمكن ان يكذب او يتجمل على رأى الكاتب العظيم احسان عبدالقدوس رحمه الله.

والتاريخ لا يكتبه بموضوعية اى شخص ممن عاشوا هذا العصر، خصوصا اذا كانوا منغمسين فيه وفى قراراته او كانوا منتفعين بها او مضارين منها.

فانا لا اتصور أن يكون الأستاذ محمد حسنين هيكل حكما عادلا على عهد السادات الذى تسبب فى افول نجمه، وقد رأينا كيف كتب عن السادات فاتهمه بكل نقيصة ابتداء من أمه التى كانت سوداء، وكان ابوه لا يسمح لها بالنوم مثل زوجاته الأخريات، وكيف انه نشر اعلانا مرة عن رغبته فى العمل فى مجال الفن ثم أخفى جميع نسخ الجريدة بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية... الخ الخ.

وهو فى رايى أسوأ ما كتب هيكل فى حياته من كتب.

وفى نفس الوقت لا يمكن ان يكون الاستاذ ثروت اباظة حكما عادلا على عهد عبدالناصر لأسباب لا تخفى على أحد، والدليل أيضا هو ما يكتبه فى معظم الأسابيع عن هذا الموضوع، وان كنت أستطيع أن افهم أسباب رأى الاستاذين هيكل واباظة، ولكنى لا أستطيع أن أقبل حكمهما على تاريخ مصر فى هاتين الفترتين.

وابو الأنوار كما راينا وضع أساس الاصلاح الاقتصادى فى مصر بعد أن حرر تقريبا ارضها، وقد ظلمناه كثيرا، وظلمه العرب، وان كان كثير منهم قد بدأ يفيق ويعترف بفضله إلا أن ذلك يتم عادة فى السر فى الأحاديث الخاصة، أما الاعتراف العلنى فمازالت العزة بالاثم هى الغالبة، ولعل اكثر من ينطبق عليهم هذا القول هم الفلسطينيون الذين وقف كبير منهم مرة يخطب وفى يده رصاصة -قبل مقتل السادات- وقال لافض فوه ان ثمن السادات لا يزيد عن ثمن هذه الرصاصة، أى قرشين صاغ.

وللأسف فإن هناك بعض الناس الذين يكون خسارة فيهم رصاصة ثمنها قرشا صاغ، بل الأفضل ان يتركوا هكذا حتى تعلمهم الأيام أن الظلم حرام واظنها علمتهم.

ملحوظة

رحم الله ابا الأنوار الذى اثبت فى مايو منذ سبعة وعشرين عاما أنه كان أذكى من كل من كانوا يحاولون قتله.